يظهر على ذلك المجلس سكون وسكينة ورأيت جماعة من مشا
يخ الفقهاء والفقراء واكابر الدولة من الامراء والوزراء والقضاة
والرؤساء الناس يحضرون مجلسه وهم في غاية ما يكون من الادب ورؤساء
معه ولا انتطاع له سواه اذا خاطبوه كأنهم يخاطبون ملكا عظيما
واذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه يلتمسون منه البركة
والدعاء ويقصدون تقبيل يده فلا يمكن احدا من ذلك بل يبطأ بعد
وكانت ثيابه حسنة ورائحته طيبة وكان ينفق على من يرد
عليه نفقة متسعة ويعطي من يدل عطايا جزيلة ولم يتسبب في
تحصيل شيء من الدنيا ولا يقبل من احد شيئا وبعث اليه السلطان
الملك الكامل نفعه الله برحمته الف دينار فردها اليه وسألته عن سبب
ذلك في موضع وسألته ان يخرج لي ضريحا عند قبر امه في قبة
الامام الشافعي رضي الله عنه فلم يأذن لي في ذلك ثم استأذنته مرة
ان يخرج له مكانا يكون مزارا يعرف به فلم ينعم لي بذلك وسألته
عن سبب ذلك في موضع وقال رحمه الله سمعت الشيخ رضي
الله عنه يقول كنت في اول تجريدي استأذنت والدي واطلع
الى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم ودخل فيه واقيم
في حال السياحة ليلا ونهارا ثم اعود الى والدي لاجل بره ومراعاة

قلبه

قلبه وكان والدي يومئذ خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر
وكان من اكابر اهل العلم والعمل فيجد سرورا برجوعي اليه ويلزمني
بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم ثم اشتاق الى
التجريد واستأذنه واعود الى السياحة وما برحت افعل
ذلك مرة بعد مرة الى ان سئل والدي ان يكون قاضي القضاة فامتنع
ونزل عن الحكم واعتزل الناس وانقطع الى الله تعالى في جامع الازهار
الى ان توفي رحمه الله فعاودت التجريد والسياحة وسلوك
طريق الحقيقة فلم يفتح علي بشيء فحضرت من السياحة يوما الى المد
ينة ودخلت المدرسة الشيوفية فوجدت رجلا شيخا بقالا على باب
المدرسة يتوضأ وضوءا غير مرتب غسل يديه ثم غسل رجليه ثم
مسح براسه ثم غسل وجهه فقلت له يا شيخ انت في هذا السن في
دار الاسلام على باب المدرسة بين فقهاء المسلمين وانت تتوضأ
وضوءا خارجا عن الترتيب الشرعي فنظر الي وقال يا عمر انت ما يفتح
عليك في مصر وانما يفتح عليك بالحجاز في مكة شرفها الله تعالى فا
قصدها فقد آن لك وقت الفتح فعلمت ان الرجل من اولياء الله وانه
يتستر بالمعيشة واظهار الجهل بترتيب الوضوء فجلست بين يديه
وقلت له يا سيدي واين انا واين مكة ولا اجد ركبا ولا رفقة في غير

Copyright © King Saud University